بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
وبعد:

فهذا بحث قيم قرأته ورغبتُ أن أقدِّمه إليكم باختصار وتصرف يسير، عسى الله أن يفتح علينا وعليكم ويرفعنا عنده درجات.. آمين.

تأليف: أم عبدالكريم

*****

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فإن هذا البحث يتحدث عن الوسائل العملية التي تمكِّن – بعون الله تعالى – من الانتفاع بالقرآن الكريم، وهذه القواعد هي التي كان يسلكها سلفنا الصالح في تعاملهم مع القرآن الكريم ، التي بسبب غفلة الكثيرين عنها أو بعضها أصبحوا لا يتأثرون ولا ينتفعون بما فيه من الآيات والعظات ، والأمثال والحكم.

ومن أخذ بهذه الوسائل فإنه سيجد بإذن الله تعالى أن معاني القرآن تتدفق عليه حتى ربما يمضى عليه وقت طويل لا يستطيع تجاوز آية واحدة بسبب كثرة المعاني التي تفتح عليه ، وقد حصل هذا للسلف من قبلنا والأخبار في هذا كثيرة مشهورة.

ولكن مما يتأكد التنبيه عليه هنا عدم قصر وحصر النجاح في تدبر القرآن على هذه المفاتيح ، فما هي إلا أسباب والنتائج بيد الله تعالى يعطيها من شاء ويمنعها من شاء، وما أقوله إن هي إلا وسائل بحسب الاستقراء من النصوص وحال السلف ، وهي أسباب يسلكها كل مريد للانتفاع بالقرآن بشكل أكبر وأعمق وأشمل ، وهي أسباب نذكِّر بها من حرم من تدبر القرآن وهو يريده ؛ نقول له اسلك هذه الأسباب لعل الله إذا رأى مجاهدتك في هذا الأمر وعلم منك صدقك أن يفتح لك خزائن كتابه تتنعم فيها في الدنيا قبل الآخرة.

قال ثابت البناني: "كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة "اهـ وما قاله ثابت البناني حق ، فقف عند الباب حتى يفتح لك ؛ إن كنت تدرك عظمة ما تطلب فإنه متى فتح لك ستلحق بالركب بفضل الله وكرمه.

أما إن استعجلت وانصرفت فستحرم نفسك من كنز عظيم وفرصة قد لا تدركها فيما تبقى من عمرك.

واعلم أن القرآن هو طوق النجاة في هذه الحياة ، وهو حبل طرفه بيد الله وطرفه بيدك كما جاء عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة فخرج علينا فقال (أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن القرآن جاء من عند الله ؟) قلنا نعم قال : (فابشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ولا تهلكوا بعده أبد)) المعجم الكبير [جزء 2 - صفحة 126]، والله تعالى يقول: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية : 175] . فمتى أردت أن تدخل في رحمة الله وأن تهدى إلى الصراط المستقيم فجاهد نفسك في تدبر القرآن الكريم، وفرغ وقتك وجهدك، وركز اهتمامك على هذا الأمر العظيم .

كم من أشخاص لم يكن لهم شأن يذكر، وبعد اجتهادهم في تدبر القرآن صارت لهم مكانة ومنزلة رفيعة عند الله تعالى ، وصار لهم في الحياة أثر كبير وشأن عظيم.

مسائل في تدبر القرآن

المسألة الأولى: معنى تدبر القرآن

جاء في لسان العرب: (دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّره: نظر في عاقبته... والتَّدَبُّر: التفكر فيه)، ومعنى تدبُّر القرآن: التأمُّل في معانيه وتحديق الفكر فيه وفي مبادئِهِ وعواقبه ولوازم ذلك [تفسير السعدي، آية: 82 من سورة النساء]

وقد يطلق التدبر على العمل لأنه ثمرته، وللتلازم القوي بينهما، كما يذكره كثير من المفسرين عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ .

قال الحسن البصري: والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله ما يرُى له القرآن في خلق ولا عمل .[رواه ابن أبي حاتم].

المسألة الثانية: مفهوم خاطئ لمعنى التدبر

إن مما يصرف كثيرا من المسلمين عن تدبر القرآن ، والتفكر فيه ، وتذكر ما فيه من المعاني العظيمة ؛ اعتقادهم صعوبة فهم القرآن ، وهذا خطأ في مفهوم تدبر القرآن ، وانصرافٌ عن الغاية التي من أجلها أنزل ، فالقرآن كتاب تربية وتعليم ، وكتاب هداية وبصائر لكل الناس ، كتاب هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين ، كتابٌ قد يسّر الله تعالى فهمه وتدبره ،كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[(17) سورة القمر] .

قال ابن هبيرة : " ومن مكايد الشيطان تنفيره عباد الله من تدبر القرآن ، لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر ، فيقول هذه مخاطرة ، حتى يقول الإنسان أنا لا أتكلم في القرآن تورعا "[ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 3-273].

وقال الشاطبي :" فمن حيث كان القرآن معجزا أفحم الفصحاء ، وأعجز البلغاء أن يأتوا بمثله ، فذلك لا يخرجه عن كونه عربيا جاريا على أساليب كلام العرب ، ميسرا للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى" [الموافقات 3-805].

وقال ابن القيم : " من قال : إن له تأولاً لا نفهمه ، ولا نعلمه ، وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه ، ففي قلبه منه حرج " [التبيان في أقسام القرآن : 144].

ويقول الصنعاني : " فإن من قرع سمعه قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [(20) سورة المزمل] يفهم معناه دون أن يعرف أن (ما) : كلمة شرط، و (تقدموا) : مجزوم بها لأنه شرطها، و (تجدوه) :مجزوم بها لأنه جزاؤها ، ومثلها كثير ... فيا ليت شعري ! ما الذي خَصَّ الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها ، وفهم تراكيبها ، ومبانيها... حتى جعلت كالمقصورات في الخيام .. و لم يبق لنا إلا ترديد ألفاظها وحروفها..."[إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد ص 36].

فالحق في هذه المسألة: أن القرآن معظمه واضح ، وبيّن وظاهر لكل الناس ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : "التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله "[تفسير الطبري 75/1 ، مقدمة ابن تيمية 115]، ومعظم القرآن من القسمين الأولين.

إن عدد آيات الأحكام في القرآن 500 آية ، وعدد آيات القرآن 6236 آية. وإن فهم الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، والعلم بالله واليوم الآخر ؛ لا يشترط له فهم المصطلحات العلمية الدقيقة ، من نحوية وبلاغية وأصولية وفقهية. فمعظم القرآن بيّنٌ واضح ظاهر، يدرك معناه الصغير والكبير ، والعالم والأميّ .

فحينما سمع الأعرابي قول الله تعالى : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [(23) سورة الذاريات] قال : من ذا الذي أغضب الجليل حتى أقسم [التوابين لابن قدامة:279] .

وحينما أخطأ إمام في قراءة آية النحل ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ [(26) سورة النحل] قرأها: من تحتهم ، صوب له خطأه امرأة عجوز لا تقرأ ولا تكتب.

إن القرآن بيِّنٌ واضح ظاهر ، وفهمه وفقهه وتدبره ليس صعبا بحيث نغلق عقولنا ، ونعلق فهمه كله بالرجوع إلى كتب التفسير ، فنعمم حكم الأقل على الكل فهذا مفهوم خاطئ وهو نوع من التسويف في تدبر القرآن وفهمه.

فإغلاق عقولنا عن تدبر القرآن بحجة عدم معرفة تفسيره ، والاكتفاء بقراءة ألفاظه مدخل من مداخل الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتداء به .

وإذا سلمنا بهذه الحجة فإن العقل والحكمة أنك إذا أشكل عليك معنى آية أن تبادر وتسارع للبحث عن معناها والمراد بها، لا أن تغلق عقلك فتقرأ دون تدبر أو تترك القراءة.

المسألة الثالثة: علامات التدبر

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم علامات وصفات تصف حقيقة تدبر القرآن وتوضحه بجلاء من ذلك :

1- ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [(83) سورة المائدة]

2- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [(2) سورة الأنفال]

3- ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [(124) سورة التوبة]

4- ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [107-109 :سورة الإسراء]

5- ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [(5 سورة مريم]

6- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [(73) سورة الفرقان]

7- ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [(53) سورة القصص]

8- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللّهِ ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [(23) سورة الزمر] .

فتحصل من الآيات السابقة سبع علامات هي:

1- اجتماع القلب والفكر حين القراءة ، ودليله التوقف تعجبا وتعظيما.

2- البكاء من خشية الله.

3- زيادة لخشوع.

4- زيادة الإيمان ، ودليله التكرار العفوي للآيات.

5- الفرح والاستبشار.

6-القشعريرة خوفا من الله تعالى ثم غلبة الرجاء والسكينة .

7- السجود تعظيما لله عز وجل .

فمن وجد واحدة من هذه الصفات ، أو أكثر فقد وصل إلى حالة التدبر والتفكـــــــر ، أما من لم يحصل أياً من هذه العلامات فهو محروم من تدبر القرآن ، و لم يصل بعد إلى شيء من كنوزه وذخائره

قال إبراهيم التيمي : "من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق ألا يكون أوتي علما لأن الله نعت العلماء فقال : ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [(107-109) سورة الإسراء] "[الزهد لابن المبارك : 41، حلية الأولياء : 5-88].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم"[تفسيرالقرطبي: 15-149].

إن كل يوم يمر بك ولا يكون لك نصيب ورزق من هذه العلامات ، فقد فاتك فيه ربح عظيم ، وهو يوم حري أن يبكى على خسارته.

*****

مفاتيح تدبر القرآن

المفتاح الأول: حب القرآن

المسألة الأولى: القلب آلة الفهم والعقل

قد دل على ذلك نصوص كثيرة ، الآيات القرآنية منها تزيد على مائة آية، وسأكتفي في هذه المسألة بذكر ثلاث منها مما هي صريحة الدلالة، وهي:

1-قول الله تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ [(57) سورة الكهف].

2-وقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [(46) سورة الحـــج].

3-وقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[(4) سورة الأحزاب] .

وليس هذا مقام بسط هذه المسألة وتأصيلها ، وإنما المقصود التذكير بأن القلب آلة الفهم والعقل والإدراك ، ومن ذلك فهم القرآن وتدبره.

المسألة الثانية : أن القلب بيد الله وحده

القلب بيد الله وحده لا شريك له ، يفتحه متى شاء ويغلقه متى شاء ، بحكمته وعلمه سبحانه :

1-قال الله تعالى : ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[(24) سورة الأنفال]

2-وقال تعالى :﴿ إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾[(57) سورة الكهف]

3-وقال تعالى :﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون ﴾ [(164) سورة الأعراف]

وقد جعل لذلك أسبابا ووسائل ، من سلكها وفق ، ومن تخلف عنها خذل ويأتي بيان ذلك في المسائل التالية .

فتذكر وأنت تحاول فهم القرآن أن القلوب بيد الله تعالى ، وأن الله يحول بين المرء وقلبه ، فليست العبرة بالطريقة والكيفية ؛ بل الفتح من الله وحده ، وما يحصل لك من التدبر فهو نعمة عظيمة من الله تعالى تستوجب الشكر لا الفخر ، فمتى أعطاك الله فهم القرآن ، وفتح لك معانيه ، فاحمد الله تعالى واسأله المزيد ، وانسب هذه النعمة إليه وحده ، واعترف بها ظاهرا وباطنا .

المسألة الثالثة: علاقة حب القرآن بالتدبر

من المعلوم أن القلب إذا أحب شيئا تعلق به ، واشتاق إليه ، وشغف به ، وانقطع عما سواه ، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته ، واجتمع على فهمه ووعيه فيحصل بذلك التدبر المكين ، والفهم العميق ، وبالعكس إذا لم يوجد الحب فإن إقبال القلب على القرآن يكون صعبا ، وانقياده إليه يكون شاقا لا يحصل إلا بمجاهدة ومغالبة ، وعليه فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أقوى وأعلى مستويات التدبر .

المسألة الرابعة: علامات حب القلب للقرآن

حب القلب للقرآن له علامات منها :

1-الفرح بلقائه .

2-الجلوس معه أوقاتا طويلة دون ملل .

3- الشوق إليه متى بعد العهد عنه وحال دون ذلك بعض الموانع ، وتمني لقاءه والتطلع إليه ومحاولة إزالة العقبات التي تحول دونه.

4- اتباع ما فيه من أوامر ونواهٍ.

هذه أهم علامات حب القرآن وصحبته، فمتى وُجدت فإن الحب موجود ، ومتى تخلفت فحب القرآن مفقود ، ومتى تخلف شيء منها نقص حب القرآن بقدر ذلك التخلف .

إنه ينبغي لكل مسلم أن يسأل نفسه هذا السؤال: هل أنا أحب القرآن؟

إنه سؤال مهم وخطير ، وإجابته أشد خطرا ،إنها إجابة تحمل معان كثيرة.

وقبل أن تجيب على هذا السؤال ارجع إلى العلامات التي سبق ذكرها لتقيس بها إجابتك وتعرف بها الصواب من الخطأ .

إن بعض المسلمين لو سئل هل تحب القرآن ؟ يجيب : نعم أحب القرآن ، وكيف لا أحبه ؟ لكن هل هو صادق في هذا الجواب ؟

كيف يحب القرآن وهو لا يستطيع الجلوس معه دقائق ، بينما تراه يجلس الساعات مع ما تهواه نفسه وتحبه من متع الحياة.

قال أبو عبيد : "لا يسأل عبد عن نفسه إلا بالقرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله"[مصنف ابن أبي شيبة 10-485]

إننا ينبغي أن نعترف بالتقصير إذا لم توجد فينا العلامات السابقة ، ثم نسعى في التغيير ، وهو ما سيتم بيانه في المسألة التالية .

المسألة الخامسة: وسائل تحصيل حب القرآن

• الوسيلة الأولى: التوكل على الله تعالى والاستعانة به

الدعاء بحب القرآن أمر عظيم، ومن استجيب له سعد في حياته سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، فإن من رزقه الله حب القرآن فقد رزقه الإيمان ،وسهل له طريق الجنان، وما دام الأمر بهذه الأهمية فإننا لم نُترَك فيه هملا فقد بينه الله ورسوله لنا أوضح بيان وهو في أربعة أمور:

الأول: الفاتحة

فقد تضمنت الفاتحة سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم ، ومن أهم نعم الله عليهم أن فتح لهم أبواب كتابه ويسر لهم العيش في رحابه، فعندما تقرأ الفاتحة فأنت تدعو الله تعالى أن يرزقك حب كتابه العظيم ليحصل لك بذلك الغوص في أعماقه والنجاة به في الحياة الدنيا والآخرة .

الثاني: الاستعاذة

فإن الشيطان قد قطع على نفسه العهد أن يقطع عليك طريق الوصول إلى القرآن الكريم الذي هو صراط الله المستقيم ، وقد أمرنا الله أن نستعيذ من الشيطان في كل مرة نريد قراءة القرآن الكريم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [سورة النحل – الآية : 98].

الثالث: البسملة

البسملة حقيقتها تبرُّك ودعاء وتوسل إلى الله تعالى بثلاثة من أسمائه: الله ، الرحمن، الرحيم ، ليمدك بالعون والبركة فيما أنت مقبل عليه ، وما تريد أن تقوم به. [قلت: بل البسملة توسل بكل أسماء الله الحسنى؛ لِمَا ذكره السعدي رحمه الله: ({بِسْمِ اللَّهِ} أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى, لأن لفظ {اسم} مفرد مضاف, فيعم جميع الأسماء الحسنى]

الرابع: دعاء حب القرآن

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحا قالوا يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات قال أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن"[مسند أحمد بن حنبل ج1/ص391 (3712) ، صحيح ابن حبان ج3/ص253(972) ، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة ج1/ص236 (199)].

وهذا الدعاء من الأدعية المستجابة لأنه تضمن ثلاثة أمور:

الأول: التوسل بالعبودية لله تعالى .

الثاني: التوسل بجميع أسماء الله وصفاته ومنها الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به استجاب كما ثبت في الحديث الصحيح

الثالث: الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم بأن من دعا به أن يذهب الله همه ويبدله مكان حزنه فرحا ، فماذا ننتظر بعد كل هذه التأكيدات؟

إن القرآن الكريم روح ونور ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الشورى – الآية : 52]

وقد جاء في الحديث وصف أقوام بأن القرآن لا يجاوز تراقيهم أو حناجرهم ،أي لم يصل نور القرآن وروحه إلى قلوبهم بل الطريق إليه مسدود فهو متوقف في الحناجر و لم يفتح له ليصل إلى القلب ، فالذي يدعو بهذا الدعاء فهو يسأل الله تعالى أن يزيل هذه العوائق ويفتح الطريق إلى القلب ليصل إليه نور القرآن .

فليس كل من قرأ القرآن قد وصل القرآن إلى روحه وقلبه ونفسه ، بل الكثير منهم محرومون من ذلك .

ولنتذكر أن الحاجة المطلوبة في هذا الدعاء عظيمة يتوقف عليها سعادة الإنسان الأبدية ؛ وهي أن يكون القرآن ربيع قلبه؛ أي الماء الذي يسقي قلبه فيحييه ويقويه بعد أن كان قاسيا مريضا ، وكذلك الدعاء بأن يكون القرآن نور صدره ، وما ظنكم بصدر دخله نور القرآن هل يبقى فيه شيء من القلق أو الهم أو المرض؟ وما ظنكم بقلب دخله روح القرآن كيف تكون قوته وثباته .

فهذا الدعاء حاجتنا إليه أشد من حاجتنا للطعام والشراب والنفس ، من استجيب له هذا الدعاء فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها ، ومن حرم منه فقد فاته كل شيء وإن حصل كل ملذات الدنيا وشهواتها.

إن بعض الناس لا يعرف الإلحاح في المسألة إلا في مطالبه الدنيوية المادية ، أما الأمور الدينية فتجد سؤاله لها باردا باهتا ، هذا إن دعا وسأل .

فعلى كل مسلم أن يكرر هذا الدعاء كل يوم ثلاثا ، خمسا ، سبعا ، ويتحرى مواطن الإجابة ، ويجتهد أن يكون سؤاله بصدق ، وبتضرع ، وإلحاح ، وشفقة ، وحرص شديد أن يجاب وأن يعطى.

وعليه بالصبر والاستمرار حتى يستجاب له ويحصل على مطلوبه ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل ، قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء(صحيح مسلم)

ومن علامات استجابة هذا الدعاء أن يشرح صدرك لكثرة قراءته ، وكثرة القيام به في الليل والنهار ، وعندها عليك أن تحمد الله تعالى وتشكره على هذه النعمة العظيمة وتسأله دوامها وزيادتها.

الوسيلة الثانية: القراءة

أي القراءة عن عظمة القرآن مما ورد في القرآن والسنة وأقوال السلف في تعظيمهم للقرآن وحبهم له .

أقترح على كل راغب في تحصيل حب القرآن أن يضع له برنامجا يتضمن نصوصا من القرآن والسنة وأقوال السلف ، فيها بيان لعظمة القرآن ومكانته ، ويرتبها على مستويين : متن ، وشرح ، فالمتن يحفظ ويكرر ، والشرح يقرأ ويفهم ، ويتم ربط المعاني التي تضمنها الشرح بألفاظ المتن .

ويرجى بإذن الله تعالى لمن طبق هذا البرنامج أن يرزقه الله حب القرآن وتعظيمه ، الذي هو المفتاح الرئيس لتدبر القرآن وفهمه ، وكل كلام يقال في هذا الموضوع فهو متوقف عليه ، وهذا السر في أن الكثير منا يقرأ في هذا الموضوع ولا يخرج بأي نتائج إيجابية .

المفتاح الثاني: استحضار أهداف قراءة القرآن

معظم الناس إذا سألته لماذا تقرأ القرآن ؟

يجيبك لأن تلاوته أفضل الأعمال ، ولأن الحرف بعشر حسنات ، والحسنة بعشر أمثالها ، فيقصر نفسه على هدف ومقصد الثواب فحسب ، أما المقاصد والأهداف الأخرى فيغفل عنها .

والمشتغل بحفظ القرآن تجده يقرأ القرآن ليثبت الحفظ ، الهدف تثبيت الحروف وصور الكلمات ، فتجده تمر به المعاني العظيمة المؤثرة فلا ينتبه لها ، ولا يحس ولا يشعر بها ؛ لأنه قصر همته وركز ذهنه على الحروف وانصرف عن المعاني ؛ فلهذا السبب تجد حافظا للقرآن غير عامل ولا متخلق به .

وجمع الذهن بين نيات ومقاصد متعددة في وقت واحد عملية تحتاج إلى انتباه وقصد وتركيز .

وفي أي عمل نعمله كلما تعددت النيات وكثرت كلما كان العمل أعظم أجرا وأكبر تأثيرا على العامل ، مثل الصدقة على ذي الرحم : صدقة وصلة ، ومثل النفقة على الأهل : نفقة وصدقة .

وقراءة القرآن يجتمع فيها خمس مقاصد ونيات كلها عظيمة ، وكل واحدة منها كافية لأن تدفع المسلم ليسارع إلى قراءة القرآن ، ويكثر الاشتغال به وصحبته. وهذه الأهداف المقاصد هي:

الثواب المترتب على التلاوة، المناجاة، المسألة، الشفاء، العلم، العمل.

فمتى قرأ المسلم القرآن مستحضرا المقاصد الخمسة معا كان انتفاعه بالقرآن أعظـــــم، وأجره أكبر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم:"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" [صحيح البخاري ج1/ص3 (1) ، صحيح مسلم ج3/ص1515 (1907)] ، فمن قرأ القرآن يريد العلم رزقه الله العلم ، ومن قرأه يريد الثواب فقط أعطي الثواب ، قال ابن تيمية : " من تدبر القرآن طالبا الهدى منه تبين له طريق الحق"[العقيدة الواسطية 103] ، وقال القرطبي : " فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يحب، وجعل في قلبه نورا" [تفسير القرطبي 11-176].

الهدف الأول : قراءة القرآن لأجل العلم

المسألة الأولى : أهمية هذا المقصد

هذا هو المقصد المهم ، والمقصود الأعظم من إنزال القرآن ، والأمر بقراءته ، بل ومن ترتيب الثواب على القراءة ، قال الله عز وجل : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [(29) سورة ص] ، ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [(82) سورة النساء] ، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [(6 سورة المؤمنون] ، ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد – الآية : 24] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [(37) سورة ق] .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : " إذا أردتم العلم فانثروا هذا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين "(مصنف ابن أبي شيبة 6-126 ، المعجم الكبير للطبراني : 9-136 ، شعب الإيمان للبيهقي : 2-332) ، وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : " إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ، ويتفقدونها في النهار "(التبيان للنووي: 2 ، وقال مسروق بن الأجدع – وهو من كبار تابعي الكوفة وأجمعهم لعلم الصحابة – : " ما نسأل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن قصر علمنا عنه "(شعب الإيمان للبيهقي : 231/5) ، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " لقد عشنا دهراً طويلاً وإن أحدنا يؤتى الإيمان(أي ما تضمنته الآيات من العلم بالله واليوم الآخر) قبل القرآن (أي مجرد قراءة الألفاظ) فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف(المراد بالوقوف هنا هو التوقف عن القراءة لأجل التدبر والتفكير في معنى الآية ، وقد حمل بعضهم كلام ابن مسعود على معنى الوقف الإصطلاحي وهو: التوقف لأجل النفس ثم مواصلة القراءة) عنده منه ينثره نثر الدقل "(المستدرك على الصحيحين ج1/ص91 (101) ، سنن البيهقي الكبرى ج3/ص120(5073)) ، وقال الحسن البصري : " ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وما أراد بها " (تفسير القرطبي : 26/1) ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : " عليكم بالقرآن فتعلّموه وعلِّموه أبناءكم فإنكم عنه تسألون ، وبه تجزون ، وكفى به واعظاً لمن عقل "(كنز العمال : 23 ، مشكل الآثار للطحاوي : 171/1) ، وقال الحسن البصري رضي الله عنهما: " قراء القرآن ثلاثة أصناف : صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به ، وصنف أقاموا حروفه ، وضيعوا حدوده ، واستطالوا به على أهل بلادهم ، واستدروا به الولاة ، كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله ، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم ، فركدوا به في محاريبهم ، وحنُّوا به في برانسهم(انظر لسان العرب – (ج 6 / ص 26) وفيه : " البُرْنُس كل ثوب رأْسه منه مُلْتَزِقٌ به دُرَّاعَةً كان أَو مِمْطَراً أَو جُبَّة وفي حديث عمر رضي اللّه عنه سقط البُرْنُسُ عن رأْسي هو من ذلك الجوهري البُرْنُسُ قَلَنْسُوَة طويلة وكان النُّسَّاكُ يلبسونها في صدر الإِسلام وقد تَبَرْنَسَ الرجل إِذا لبسه قال وهو من البِرْس بكسر الباء القطن والنون زائدة وقيل إِنه غير عربي"اهـــ وانظر : الصحاح في اللغة – (ج 1 / ص 41)) ، واستشعروا الخوف ، فارتدوا الحزن ، فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء ، والله لهؤلاء الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر " (ابن الجوزي في العلل 110/1 ، والكبريت الأحمر : أي الذهب الخالص ، انظر : لسان العرب (كبر) 125/5)

قال أحمد بن أبي الحواري : "إني لأقرأ القرآن وأنظر في آيه ، فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنهم النوم ، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله ، أما إنهم لو فهموا ما يتلون ، وعرفوا حقه فتلذذوا به واستحلوا المناجاة لذهب عنهم النوم فرحاً بما قد رزقوا "(لطائف المعارف 203).

المسألة الثانية : العلم الذي نريده من القرآن

ما العلم الذي نريده من القرآن ؟ يجيب ابن القيم على هذه المسألة المهمة بأبيات جميلة يقول فيها:

والعلم أقسام ثلاث ما لها	من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله	وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه	وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي	جاءت عن المبعوث بالقرآن

(القصيدة النونية : ص 189)

إننا نريد من القرآن العلم الذي به نحقق التوحيد لرب العبيد، نريد منه العلم الذي به تزكو النفوس وترق القلوب، العلم الذي ننجو به من النار وغضب الجبار، وننال به الهداية والأمن، والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [(2 سورة فاطر] -: هم الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير(تفسير ابن كثير - (ج 6 / ص 544)).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه :" كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا " (مفتاح دار السعادة : 51/1).

المسألة الثالثة : كيفية تحقيق هذا المقصد

إن مما يعين على تحقيق هذا المقصد أن تقرأ القرآن قراءة مركزة واعية، قراءة من تستوقفه كل آية، يتأمل فيها ما أراده الله منها.

وتأمل في كتاب الله ما أشار إليه ابن القيم –رحمه الله– حيث قال: "ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها وعلى طرقاتها وأسبابها وثمراتها ومآل أهلها، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه وصراطه الموصل إليه وقواطيع الطريق وآفاته، وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة.

فتشهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما يختلف فيه العالم، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال، وتعطيه قوة في قلبه وحياة واسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً فيصير في شأن والناس في شأن آخر؛ فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام وتوقفه عليها؛ لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل، وتناديه كلما فترت عزماته: تقدمَ الركبُ، وفاتك الدليل، فاللحاقَ اللحاقَ، والرحيلَ الرحيلَ. فاعتصم بالله واستعن به وقل: "حسبي الله ونعم الوكيل"[مدارج السالكين ، ج1 ، ص 485 ، 486.]

المسألة الرابعة: الدعوة بالقرآن هي طريق النجاح في الدعوة

لو تأملنا في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المدعوين، وماذا كان يقول لهم، لوجدنا أنه في كثير من المواقف يكتفي بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ويحدث هذا أثرا عظيما في النفوس ، لقد كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لآية من القرآن تشد الكافر والمنافق والمشرك و تبين له الحق ، ولا يقل أحد إن هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم بل هو ممكن لكل من سلك سبيله واقتدى به ، وهو بهذا مستجيب لربه سبحانه وتعالى الذي أمره بذلك إذ يقول : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [(45) سورة ق] ، وبقوله سبحانه : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ﴾ [(6) سورة التوبة]، ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [(106) سورة الإسراء]،وقوله : ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [(92) سورة النمل] .

فلم لا يكون حوارنا ، وتكون خطبنا ، ومواعظنا تنطلق وتدور في فلك آيات القرآن الكريم ، نبدأ بالاستشهاد بها في كل ما نريد إيصاله إلى المدعوين من تربية وتعليم .

إن البعض قد يعتذر قائلا : إن ما تدعو إليه صعب ، ونحن نشاهد الناس يتأثرون بالقصص والأمثلة والنماذج الحية أكثر من تأثرهم بالقرآن والسنة .

فأقول : إن هذا هو أساس المشكلة التي نحاول علاجها في هذا البحث ، وهو لماذا نتأثر بالقصص والحكايات ، ولا نتأثر بالآيات والسنة؟

إن بعض الدعاة ممن يكثر القصص يتعلل بقوله : إن الناس لا يطيقون أو لا يفهمون ذلك ، فنحن نقرب لهم الأمر بالقصص والحكايات والأدبيات التي تؤثر في نفوسهم ، وهذا غير صحيح ، فالعيب في الداعية نفسه وليس في الطريقة أو المنهج -كيف وهو منهج السلف الصالح- وليس العيب في الناس ، بل إنه متى استشعر الداعية عظمة القرآن وكان معايشا له متعمقا فيه فإن أثر قراءته لبضع آيات لا يقارن بأثر قصة أو مشهد من هنا وهناك {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس:57].

المسألة الخامسة: القرآن يحيي القلوب كما يحيي الماء الأرض

قال الله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [(17) سورة الحديد] ، وقد جاءت هذه الآية بعد قول الله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [(16) سورة الحديد] ، وفي هذا إشارة إلى أن حياة القلوب تكون بذكر الله تعالى وما نزل من الحق وهو القرآن مثل ما أن حياة الأرض الميتة يكون بالماء ، قال مالك بن دينار: " ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض"، وهذا أمر مشاهد ظاهر للعيان ، ومن المشاهدات في هذا الأمر ما نشاهده من زكاة القلوب ورقتها في رمضان حين يتوالى عليها سماع القرآن وقراءته ، ويكثر القيام به في لياليه ، ثم إنك ترى هذه الحياة التي حصلت للقلوب في رمضان تبدأ بالتلاشي بالتدريج بعد رمضان حين تنقطع عن القيام بالقرآن الكريم .

فمن أراد حياة قلبه فعليه بسقيه بربيع القلوب القرآن وبكميات وكيفيات مناسبة لإحداث الحياة كما سيأتي تفصيله في ثنايا هذا البحث .

الهدف الثاني :قراءة القرآن بقصد العمل به

المسألة الأولى: أهمية هذا المقصد

1- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " يا حملة القرآن أو يا حملة العلم ؛ اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ، ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقاً يباهي بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى "(التبيان في آداب حملة القرآن ج1/ص20 ، كنز العمال ج10/ص120)

2- وعن الحسن البصري قال :" أمر الناس أن يعملوا بالقرآن فاتخَذوا تلاوته عملا"(تفسير السمعاني ج4/ص 119، مدارج السالكين: 1-451، تلبيس إبليس: 109)

3- وقال الحسن بن علي : "اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فليست بقراءة"(كنز العمال : 1-2776)

4- وقال أيضا : "إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن قرأه(أي أنه لا يقدر على القراءة ، أما من قدر على قراءة القرآن فلا يتصور أنه لا يقرؤه .)"اهـ(قاعدة في فضائل القرآن لشيخ الاسلام ابن تيمية : 59)

5- وعن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرؤهم العشر ، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا"(تفسير القرطبي : 1-39 ، تفسير الطبري : 1-60)

6- ويقول الآجُرِّي : "يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه همته متى أكون من المتقين ؟ متى أكون من الخاشعين ؟ متى أكون من الصابرين ؟ متى أزهد في الدنيا ؟ متى أنهى نفسي عن الهوى ؟ "(أخلاق حملة القرآن : 40)

7- وقال الحسن البصري : " إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله ... ، وما تدبر آياته إلا باتباعه ، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفا ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى القرآن له في خلق ولا عمل ، حتى إن أحدهم ليقول : إني لأقرأ السورة في نفس ! والله ما هؤلاء بالقراء ، ولا بالعلماء ، ولا الحكماء ، ولا الورعة ، متى كان القراء مثل هذا ؟ لا كثر

الله في الناس مثل هؤلاء "(سنن سعيد بن منصور : 2-420 ، شعب الإيمان للبيهقي : 2-541 ، الزهد لابن المبارك : 274/1)

8- وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(4) سورة القلم] ما كان خلق رســــــــــول الله ؟ فقالت: " كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه"(صحيح مسلم : (746) ، وبهذا اللفظ أخرجه : الطبري في تفسيره : 29-18 والإمام أحمد في مسنده : 6-216 ، وتكلم عليه ابن كثير في تفسيره : 403/4 ، وابن حجر في فتح الباري : 6-575)

9-جاء رجل بابنه إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال : إن ابني هذا قد جمع القرآن ، فقال : اللهم غَفْراً ، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع "(قاعدة في فضائل القرآن لابن تيمية: 59)

10- وعن حذيفة رضي الله عنه قال: " يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا ، فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا" (صحيح البخاري : (7282) كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم).

الهدف الثالث : قراءة القرآن بقصد مناجاة الله

المسألة الأولى: أدلة المناجاة

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن "(صحيح البخاري ج6/ص2743 (7105) ، صحيح مسلم ج1/ص545 (792)) ، ومعنى أذن : أي استمع

2- وعن عبد الله بن المبارك قال : سألت سفيان الثوري قلت : الرجل إذا قام إلى الصلاة أي شيء ينوي بقراءته وصلاته ؟ قال : ينوي أنه يناجي ربه "(تعظيم قدر الصلاة : 1-92)

3- وعن البياضي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يصلون ، وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال : إن المصلي يناجي ربه عز وجل فلينظر ما يناجيه ، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن"(مسند الإمام أحمد : 4-344 ، وصححه أحمد شاكر)

4- قال ابن القيم: " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعـــــــــــه ، وألق سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم "(الفوائد: 1)

5- وقال قتادة: "ما أكلت الكراث منذ قرأت القرآن"(فضائل أبي عبيد 55 ، التذكار 108)

6- وقال أبو مالك: إن أفواهكم طرق من طرق الله تعالى فنظفوها ما استطعتم قال : فما أكلت البصل منذ قرأت القرآن"(فضائل القرآن لأبي عبيد 55 ، الدر المنثور ج1/ص278 ، تفسير القرطبي ج1/ص27 ، وانظر : سنن ابن ماجه ج1/ص106) .

المسألة الثانية: كيفية تطبيق هذا المقصد

تذكّر أنه يجتمع لك في المناجاة بالقرآن خمس أمور: أن الله يراك ، ويسمعك، ويحب عملك ، ويمدحك، وسيكرمك

فاستحضر هذه المعاني حين القراءة ولا تدعها تفوت عليك .

فالمسلم عند قراءته للقرآن عليه أن يستحضر هذه المعاني جميعا حين قراءته للقرآن لكي يشعر بلذة القراءة حينما يستحضر أن الله يراه ويستمع لقراءته وهو يقرأ ويمدحه ويثني عليه ويباهي به ملائكته المقربين.

إن أحدنا لو ظن أن رئيسه ، أو والده أو أميرا ينظر إلى قراءته ويمدحه لاجتهد في ذلك ، فكيف والذي يستمع إليه ويثني عليه ملك الملوك الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى .

فالقارئ يستشعر أن الله يخاطبه مباشرة ، وأن الله تعالى يسمع قراءته ، فإذا مَرَّ بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بآية فيه وعيد على عمل أو صفة استعاذ، وإذا مر بسؤال أو بصفات عباد الرحمن سأل الله من فضله.

عن حذيفة رضي الله عنه قال : " صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة(قوله : " يصلي بها في ركعة " أراد بالركعة الصلاة كاملة والمعنى :

يصلي بها في تسليمة) فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ"(صحيح مسلم ج1/ص536 (772) ، سنن النسائي (المجتبى) ج3/ص225 (1664)) .

هكذا تكون المناجاة بالقرآن ، إنها قراءة حية يعي فيها العبد ماذا يقرأ ؟ ولماذا يقرأ ؟ ومن يخاطب بقراءته ؟ وماذا يحتاج منه ؟ وما يجب له نحوه من التعظيم والتقديس.

إن تربية النفس على هذه المقاصد حين تلاوة القرآن الكريم يقوي فيها مراقبة الله تعالى فيكون حافظا لها عند الفتن.

الهدف الرابع : قراءة القرآن بقصد الثواب

ورد في ترتيب الثواب على قراءة القرآن نصوص كثيرة، اذكر طرفاً منها للتذكير بهذا الأمر المهم:

1- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"(رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)

2- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا إني تارك فيكم ثِقْلين :أحدهما :كتاب الله عز وجل ، هو حبل الله ، ومن اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة"(صحيح مسلم ج4/ص1873 رقم (240)

3- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض"(سنن الترمذي: 5-663 رقم (3788) ، وقال حديث حسن غريب ، وصححه الألباني)

4- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذا للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللحد "(صحيح البخاري:1-450)

5- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران"(صحيح البخاري 4-1882 (4653)، وصحيح مسلم :1-549 (79)

6- وعن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(صحيح البخاري: 4-1919 (4739))

7- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" تعلموا القرآن فاقرؤوه وأقرئوه ، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك".(سنن الترمذي5-156 (2876) وقال حديث حسن ، وضعفه الألباني ، صحيح ابن حبان : 5-499 (2126) قال شعيب الأرناؤط : رجاله ثقات رجال الصحيح غير عطاء مولى أبي أحمد)

8- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه"(صحيح مسلم : 1-552 (804))

9- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان"(مسند أحمد بن حنبل ج2/ص174 (6626) ، وصححه أحمد شاكر، مستدرك الحاكم : 1-470 وقال صحيح على شرط مسلم ،مصنف ابن أبي شيبة ج6/ص129(30044)، صحيح الترغيب والترهيب للألباني :1-483 (969).)

10- وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :" القرآن شافع مشفع ، وماحلٌ مُصَدِّق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار"(صحيح ابن حبان : 1-331 (124) ، مصنف عبد الرزاق : 3-372 (6010) شعب الإيمان للبيهقي : 2-351 (2010))

11- وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران"(صحيح مسلم: 1-554 (805) ، سنن الترمذي :5-160 (2883))

12- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب"(سنن الترمذي: 5-177(2913) وقال حسن صحيح ، المستدرك : 1-741 (2037) وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه)

13- وعن عمر رضي الله عنه قال : أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين"(صحيح مسلم ج1/ص559 (817) ، سنن ابن ماجه ج1/ص79 (21)

14- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن(يعني أنه أمي لا يقدر على القراءة ، وهو حريص على قراءة القرآن بدليل وصفه بالإيمان ، فلا يتصور أبدا مؤمن يقدر على قراءة القرآن ويهجر قراءته .) كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر"(صحيح البخاري ج5/ص2070 (5111) ، صحيح مسلم ج1/ص549 (797))

15- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"(سنن أبي داود : ج2/ص71 (1455) ، سنن ابن ماجه ج1/ص82 (225) ، سنن الترمذي : ج5/ص195(2945))

16- وقال ابن عباس رضي الله عنهما : " لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي له لأحبهم الله ولكن طلبوا به الدنيا فابغضهم الله وهانوا على الناس"(تفسير القرطبي ج1/ص20)

17- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:"إن هذا القرآن مأدبة الله فخذوا منه ما استطعتم فإني لا أعلم شيئا أَصْفرَ من خير من بيت ليس فيه من كتاب الله شيء ، وإن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيء خرب كخراب البيت الذي لا ساكن فيه "(سنن الدارمي رقم 3173)

18- وقال أبو هريرة رضي الله عنه : " البيت الذي يتلى فيه كتاب الله كثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين والبيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله وقل خيره وحضرته الشياطين وخرجت منه الملائكة "(الزهد لابن المبارك ج1/ص273 (790))

والنصوص في هذا الباب كثيرة وإنما قصدت ألا يخلو هذا البحث من طرف منها ليكون ترسيخا لهذا الهدف من أهداف قراءة القرآن ، ومن أراد التوسع فعليه بكتب السنة يقطف منها ما لذ وطاب من الكلام المستطاب ؛ فما ذكرته هنا غيض من فيض وقليل من كثير والله الهادي إلى سواء السبيل .

الهدف الخامس: قراءة القرآن بقصد الاستشفاء به

المسألة الأولى: أدلة هذا المقصد

1- قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(57) سورة يونس]

2- وقال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾ [(82) سورة الإسراء]

3- وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [(44) سورة فصلت].

4- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وامرأة تعالجها ، أو ترقيها ، فقال : عالجيها بكتاب الله "(صحيح ابن حبان ج13/ص464 (6098)) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1931))

المسألة الثانية: أنواع الشفاء بالقرآن

الشفاء بالقرآن أربعة أنواع:

الأول: شفاء النفس من الشهوات.

الثاني: شفاء القلب من الشبهات.

الثالث: شفاء الصدر من الهم والحزن والقلق.

الرابع: شفاء البدن.

فالقرآن شفاء للقلوب من أمراض الشهوات والشبهات والوساوس كلها القهري منها وغيره، وشفاء للأبدان من الأسقام ، فمتى استحضر العبد هذا المقصد فإنه يحصل له الشفاءان : الشفاء العلمي المعنوي ، والشفاء المادي البدني بإذن الله تعالى.

المسألة الثالثة: كيف يحصل الشفاء بالقرآن

الاستشفاء بالقرآن يكون بأمرين:

الأول : الرقية به

فالريق الناتج من تلاوة آيات القرآن الكريم له أثر عظيم في القوة والنشاط، والصحة والعافية، ولا أظن مسلما ينكر أثر النفث بالآيات في الشفاء والعلاج، ولكن ليس من أي أحد ، وأيضا هو ممكن لكل أحد ، ممن يأخذ بالأسباب. [وقد ذكر بعض المشائخ أن الرقية تنفع حتى إن لم يصاحبها نفث].

الثاني : القيام به آناء الليل وآناء النهار

وخاصة في جوف الليل الآخر ، وهذا يحقق شفاء القلب العلمي المعنوي النفسي بسبب ما يحصل من عمق في فهم القرآن وفقه لآياته، حيث يمتلئ القلب بنور الله تعالى وآياته فيتسع وينشرح فلا يبقى فيه مكان للشهوات أو الشبهات أو الوساوس المزعجة المقلقة.

إن الناس بأمس الحاجة للاستشفاء بالقرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(57) سورة يونس]

إن العلاج بالقرآن له أثر عظيم، ولكن على من أراد الشفاء به أن يتعلم كيف يستشفي به، وأي إخلال بالطريقة الصحيحة يحول دون حصول الشفاء التام، وإن وظيفة المفاتيح العشرة التي نشير إليها في البحث هي : توصيل القرآن إلى القلوب التي في الصدور، وبه يحصل شفاء النفس وعافية البدن بإذن الله تعالى .

المسألة الرابعة: التعامل المباشر مع القرآن

إننا ينبغي أن نتعامل مع القرآن مباشرة فهو ميسِّر لكل من صدق في التعامل معه وجد في القيام به، أما أن نجعل بيننا وبين القرآن وسطاء ونهمل التعامل المباشر معه فهذا غاية الحرمان.

تجد البعض حينما يصاب بمصيبة أو ينزل به مرض يجوب الآفاق ويطوف البلاد بين القراء والمعالجين وما علم أن الأمر أقرب من ذلك وأيسر، فالله سبحانه وتعالى حينما يبتلينا بالشدائد والمصائب يريد منا أن نتضرع وأن نستكين ونتذلل بين يديه سبحانه وتعالى كما قال عز وجل : ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ [76 المؤمنون] وقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ [الأنعام 42] ، والقيام الطويل بالقرآن هو من أهم صور التذلل لله تعالى والتضرع بين يديه كما يحصل في صلاة الكسوف وغيرها فالقيام بالقرآن من أقوى أسباب العافية والشفاء.

المفتاح الثالث: الاجتهاد في حفظ القرآن

المسألة الأولى: أهمية هذا المفتاح

1- قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سورة العنكبوت – الآية : 49]

2- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب "(سنن الترمذي: 5-177(2913) وقال حسن صحيح ، المستدرك : 1-741 (2037) وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه)

ومن المعلوم أن البيت الخرب هو مأوى الشياطين فكذلك القلب الخرب الذي ليس فيه شيء من القرآن ، أما القلب العامر بحفظ القرآن فلا يقربه شيطان ، وبإذن الله تعالى لا يتمكن من إيذائه .

3- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره"(مصنف ابن أبي شيبة ج6/ص126(30011) ، ج7/ص106 (34551) ، مسند أحمد بن حنبل ج2/ص177 ((6655)

4- ويقول أبو عبد الله بن بشر القطان : "ما رأيت رجلا أحسن انتزاعا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد ، وكان جارنا ، وكان يديم صلاة الليل ، وتلاوة القرآن ، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه ينتزع منه ما شاء من غير تعب "(تاريخ بغداد : 5-45 ، سير أعلام النبلاء : 15-521)

هذا المقصود من كون الحفظ أحد مفاتيح التدبر، لأنه متى كانت الآية محفوظة فإن ذلك يساعد في استحضارها، فيتم تنزيلها على النوازل والمواقف التي تمر بالشخص في الحياة اليومية بشكل سريع ومباشر.

هذا بالإضافة إلى أن تكرار الآيات وحفظها والتفكر فيها وهي محفوظة أفضل من تكرارها نظرا؛ لأن أثر الطريقة الأولى يستمر بإذن الله، أما الثانية فممكن أن يقف بعد إغلاق المصحف.

المفتاح الرابع: القيام بالقرآن

المسألة الأولى: نصوص تؤكد أهميته

إن هذا المفتاح من أهم مفاتح تدبر القرآن ، وأعظمها شأنا ، وقد ورد عدد من النصوص تدل عليه وتؤكد أهميته ، من ذلك :

1- قول الله تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [(79) سورة الإسراء]، فدلت الآية على أن التهجد بالقرآن طريق للوصول إلى المقامات العالية في الآخرة والآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته وإن كان مقامه صلى الله عليه وسلم أعلى من مقام بقية المؤمنين.

2-وقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[1-5 سورة المزمل] ، فدلت الآية على أن القيام بالقرآن هو السبيل لتحمل الأحمال الثقيلة سواء الدينية أو الدنيوية.

3- وقول الله تعالى : ﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [(113) سورة آل عمران] ، فأثنى الله تعالى على الثلة من أهل الكتاب الذين يقومون بآياته ليلا.

4- وقول الله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[(9) سورة الزمر] ، فدلت الآية على أن العلماء هم الذين يقومون بالقرآن ليلا، وأنهم أعلى مكانا وأرفع مكانة.

5- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار "(صحيح البخاري ج1/ص39(73) ، ج4/ص1919 (4737) ، ج4/ص1919(4738) ، صحيح مسلم ج1/ص559 (815))

فنص النبي صلى الله عليه وسلم على أن التنافس والتسابق والشرف لا يصح أن يكون إلا في أمرين اثنين لا ثالث لهما وهما الطريق لكل الفضائل الأخرى :

الأول: القيام بالقرآن وهو الطريق إلى العلم والإيمان.

الثاني: إنفاق المال في سبيل الله تعالى.

والثاني متوقف على الأول. وانظر إلى قوله : (ينفقه) مع قوله (يقوم به) فيؤخذ منه أن من آتاه الله القرآن و لم يقم به أي لم يقرأه في صلاة فهو مثل من آتاه الله مالا و لم ينفقه، ويؤكد هذا الحديث الآتي :

6- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه "(صحيح مسلم ج1/ص544 (789)) ، فنص النبي صلى الله عليه وسلم على أن الطريق إلى حفظ القرآن وتذكر معانيه وتثبيتها في القلب هو القيام بالقرآن أي قراءته في صلاته ، ثم أكد الطرف الآخر من القضية وهو أن عدم القيام سبب النسيان، فلم يدع بذلك مجالا للشك في أهمية وعظمة هذا المفتاح من مفاتح تدبر القرآن.

إن حفظ معاني القرآن ورسوخها في القلب ، وكونها حاضرة في القلب في كل آن ، وخاصة في المواقف التي يُفتَن فيها المرء ويُمتَحن ويُختَبر ،هو المقصود من إنزال القرآن ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص – الآية : 29]

المسألة الثانية: فضل قراءة القرآن في الصلاة

إن العبد إذا قام بين يدي ربه يناجيه ، ويتلو كتابه هان عليه كل ما في الدنيا رغبة فيما عند الله ورهبة منه ، فيتباعد عن كل ما لا يرضي الله فيرزقه الله ويهديه .

ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ويطيل فيها قراءة القرآن ، كما في صلاة الكسوف.

ولو لم يكن في القراءة داخل الصلاة إلا الانقطاع عن الشواغل والملهيات لكفى ، فإن المصلي إذا دخل في الصلاة حرم عليه الكلام والالتفات والحركة من غير حاجة ، فهذا أعون على التدبر والتفكر وأجمع للقلب، فكيف إذا تحقق له ذلك التدبر في عبادة دلت النصوص على أن العبد إذا دخل فيها فإنه يزداد قربا من الله تعالى ، ويُقبِل سبحانه عليه بوجهه؟ من تلكم النصوص ما يلي :

1- ما جاء عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال : "أيها الناس إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإنه مُنَاجٍ ربه ، وربه فيما بينه وبين القبلة"(صحيح البخاري ج1/ص406(1156))

2- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا كان أحدكم في صلاة فلا يبزقن أمامه فإنه مستقبل ربه"(صحيح مسلم ج1/ص390(551)

3- قال ابن جريج قلت لعطاء : أيجعل الرجل يده على أنفه أو ثوبه ؟ قال: فلا ، قلت من أجل أنه يناجي ربه ؟ قال : نعم ، وأحب ألا يخمر فاه"(تعظيم قدر الصلاة : 1-190)

4- قال عطاء :"بلغنا أن الرب يقول : إلى أين تلتفت ؟ إليّ يا ابن آدم ؛ إني خير لك ممن تلتفت إليه"(تعظيم قدر الصلاة : 1-190)

المسألة الثالثة: القيام بالقرآن وقيام الليل

هل هناك فرق بين القيام بالقرآن وقيام الليل؟

للجواب على هذا السؤال نقول: إن القيام بالقرآن له معنيان:

الأول: عام، وهو القيام بحق القرآن وتطبيقه والعمل به.

والثاني: خاص وهو المقصود في هذا السؤال، وهو قراءته في قيام أي في صلاة، فإذا كان القيام بالقرآن ليلا فلا فرق بينهما ، هذا هو الأصل لكن وجد من البعض من قصر معنى قيام الليل على الصلاة دون العناية بالقرآن وقصد تدبره وكثرة قراءته في صلاته، فلذلك ترى قراءته للقرآن في صلاته بالليل لا يطبق فيها أيًّا من مفاتيح التدبر، ومن أجل ذلك ترى انتفاعه بمثل هذا القيام يكون محدودا وضعيفا.

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا" قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا"(اخرجه ابن ماجه وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 505، وفي صحيح الجامع برقم: 5028) ، لذلك لا تستغرب أنه ربما وجد من يقوم الليل، وفي النهار يأكل الغيبة والربا ويأكل حقوق الناس ويغش ويخدع ويكذب وينافق ويجزع ويتسخط ....الخ، فالسبب أن قيامه قيام ليل ليس فيه قيام بالقرآن، فهو خال من أي علم أو إيمان، إنه قيام أجوف مجرد حركات لا يعقل منها شيئا، فهل مثل هذه القراءة تليق بالقرآن الكريم ، وهل يتم بها تحصيل المقصود من القيام بالقرآن؟

المسألة الرابعة: ثواب القيام بالقرآن

3- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين"(صحيح ابن حبان ج6/ص310 ، صحيح ابن خزيمة ج2/ص181 (1144) ، سنن أبي داود ج2/ص57 (139)

4- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان ؟ قلنا : نعم ، قال : فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاة خير له من ثلاث خلفات عظام سمان"(صحيح مسلم ج1/ص552 (802))

المسألة الخامسة: نصوص تؤكد أهمية القيام بالقرآن ليلا

إن القراءة للقلب مثل السقي للنبات، فالسقي لا يكون في حر الشمس فإن هذا يضعف أثره خاصة مع قلة الماء فإنه يتبخر، وكذلك قراءة القرآن إذا كانت قليلة، وكانت في النهار وقت الضجيج والمشغلات، فإن ما يرد على القلب من المعاني قد لا يؤثر فيه. ومما يدل على كون القراءة في الليل مفتاح مهم لتدبر القرآن والانتفاع به ما يلي:

1- قول الله عز وجل : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [(79) سورة الإسراء]

2- وقول الله عز وجل :﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [(6) سورة المزمل] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : "هو أجدر أن يفقه القرآن "اهـــ ، ومعنى ناشئة الليل : أي القيام بعد النوم ،وبه يجتمع راحة البدن والروح فيحصل بذلك اجتماع القلب على قراءة القرآن وتدبره ، أما القراءة حين التعب والإجهاد فإن التدبر والفهم يكون ضعيفا.

3- وقال الله تعالى : ﴿لَيْسُواْ سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [(113) سورة آل عمران]

4- وقال الله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [(9) سورة الزمر]

5- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل"(صحيح مسلم ج1/ص515(747)) وفي هذا دلالة واضحة على أن أفضل القيام بالحزب من القرآن هو الليل ، وفي حالة العذر فإنه يعطى الثواب نفسه إذا قضاه في النهار.

6- ويقول ابن حجر – عن مدارسة جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة من رمضان –: " المقصود من التلاوة الحضور والفهم ، لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية "(فتح الباري ج9/ص45)

7- وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: " إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ، ويتفقدونها في النهار "(التبيان في آداب حملة القرآن ج1/ص29) والشاهد قوله : "يتدبرونها بالليل".

8- وقال ابن عمر رضي الله عنهما : "أول ما ينقص من العبادة : التهجد بالليل ، ورفع الصوت فيها بالقراءة"(خلق أفعال العباد ج1/ص111)

9- وقال الشيخ عطيه سالم - حاكياً عن شيخه الشنقيطي -: " وقد سمعت الشيخ يقول : لا يُثبِّت القرآن في الصدر ، ولا يُسهِّل حفظه ، ويُيسِّر فهمه إلا القيام به في جوف الليل "(أضواء البيان - (ج 8 / ص 47)

10- وقال النووي : "ينبغي للمرء أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر ، وفي صلاة الليل أكثر ، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة ، وإنما رجحت صلاة اليل وقراءته لكونها أجمع للقلب ، وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات ، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات ، مع ما جاء به الشرع من إيجاد الخيرات في الليل ، فإن الإســـراء بالرسول صلى الله عليه وسلم كان ليلا "(التبيان في آداب حملة القرآن ج1/ص34)

12- قال أبو داود الجفري : دخلت على كرز بن وبرة في بيته ، فإذا هو يبكي ، فقلت: ما يبكيك ؟ قال : إن بابي مغلق وإن ستري لمسبل ومنعت حزبي أن أقرأه البارحـــة ، وما هو إلا ذنب أحدثته "(حلية الأولياء : ج5- ص79) .

المفتاح الخامس: الجهر والتغني بالقراءة

المسألة الأولى : تعريفهما

الجهر : هو رفع الصوت بالقراءة.

والتغني: هو تزيين الصوت بالقراءة وفق ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم.

المسألة الثانية: أدلة مشروعيتهما

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به " (صحيح البخاري ج6/ص2737(7089))

2- وعنه أيضا رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن "(صحيح البخاري ج6/ص2743 (7105) ، صحيح مسلم ج1/ص545 (792))

3- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ؛ وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار "(صحيح البخاري ج4/ص1547(3991) ، صحيح مسلم ج4/ص1944(2499))

4- وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت : "كنت أسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا على عريشي"(سنن النسائي ج2/ص178(1013) ، سنن ابن ماجه ج1/ص429(1349) ، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي)

5- وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ليلة فإذا بأبي بكر رضي الله عنه يصلي يخفض صوته ، ومَرَّ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يصلي رافعا صوته ، قال : فلما اجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك ؟ قال : قد أسمعت من ناجَيْتُ يارسول الله ، وقال لعمر : مررت بك وأنت تصلي ترفع صوتك ؟ فقال : يا رسول الله أوقظ الوسنان ، وأطرد الشيطان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا ، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئا "(سنن أبي داود ج2/ص37(1329) ، سنن الترمذي ج2/ص309 (447) ، وصححه النووي في المجموع 3-391 ، والحاكم ووافقه الذهبي والألباني في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ص 109)

6- وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن جهر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة بالليل فقال :"كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد حافظ أن يحفظها فعل "(مختصر قيام الليل للمروزي : 133)

7- وقال ابن عباس رضي الله عنهما – لرجل ذكر له أنه سريع القراءة – :" إن كنت فاعلا فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ، ويعيها قلبك "اهـــ(سنن البيهقي الكبرى ج2/ص168(2759) ,فتح الباري : 9-89)

8- وعن ابن أبي ليلى قال:" إذا قرأت فاسمع أذنيك فإن القلب عدل بين اللسان والأذن"(مصنف ابن أبي شيبة ج1/ص321 (3670)) .

إن الجهر بما يدور في القلب أعون على التركيز والانتباه، ولذلك تجد الإنسان يلجأ إليه قسرا عندما تتعقد الأمور ويصعب التفكير.

إن البعض عند قراءته للقرآن يُسِرٌّ بقراءته طلبا للسرعة وقراءة أكبر قدر ممكن، وهذا خطأ. ومن الواضح غياب قصد التدبر في مثل هذه الحالة.

المسألة الثالثة : حد الجهر ومقداره

إن الجهر درجات أدناها أن يسمع المرء نفسه وتحريك أدوات النطق من لسان وشفتين ، وأعلاها أن يسمع من قرب منه ، فما دونه ليس بجهر وما فوقه يعيق التدبر ويرهق القارئ.

ومما يضبط لك مقدار الجهر أن يكون كقراءة الإمام بالصلاة.

وكلما كان الصوت مشدودا حيا كان أعون على التدبر وطرد الوساوس والأفكار المتطفلة على القلب أثناء القراءة .

المسألة الرابعة: فوائد الجهر بقراءة القرآن

من فوائد الجهر بقراءة القرآن ما يلي:

1- استماع الملائكة لقراءة القارئ.

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أخرى أيضا، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها. قال: فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلت: يا رسول الله! بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأ ابن حضير))، قال: فقرأت ثم جالت أيضا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأ ابن حضير))، قال: فقرأت ثم جالت أيضا، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأ ابن حضير،)) قال فانصرفت وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تلك الملائكة تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم)) [صحيح الترغيب. رواه البخاري ومسلم واللفظ له].

بل إنك إذا قمت من جوف الليل فقرأت القرآن فإن الملك الذي معك يدنو منك يسمع القرآن الذي تقرأه، فإذا كنت في صلاة تقرأ وقد تسوكت ورائحة فمك طيبة فإنه يدنو منك حتى يجعل فمه على فمك، فلا تخرج منك آية إلا في فم الملك من حبه للقرآن. فلذلك على الإنسان المسلم أن يستعد لقراءة القرآن بأن يكون على وضوء، وأن يطيب فمه. عن علي رضي الله عنه أنه أمر بالسواك وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن)) [حسن صحيح. صحيح الترغيب والترهيب]

2- فرار الشياطين عن القارئ والمكان الذي يقرأ فيه

3- تطهير للبيت وتعطير له وجعله بيئة صالحة للتربية والتعليم .

إن بيتاً يكثر فيه الجهر بالقرآن هو بيت - كما قال أبو هريرة رضي الله عنه - كثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين والبيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله وقل خيره وحضرته الشياطين وخرجت منه الملائكة"(الزهد لابن المبارك ج1/ص273 (790))

المفتاح السادس: الترتيل

المسألة الأولى: تعريفه

الترتيل: يعني الترسل والتمهل.

والبعض يطلق الترتيل على تزيين الصوت بالقراءة وتحسينها وهذا يعرف بالتغني، أما الترتيل فالمراد به حيث ورد في القرآن التمهل والترسل والتأني حين القراءة ، قال الداني : " الترتيل: مصدر من رتّل فلان كلامه : أتبع بعضه بعضا على مُكْث وتُؤده ، والاسم منه الرَّتَل ، والعرب تقول ثَغْر رتل إذا كان متفرقا "(التحديد في الإتقان والتجويد ص 71.) ، وقال الشيرازي : " هو: تبيين القراءة وإتباع بعضها بعضا على تأن وتؤدة مع تجويد اللفظ وحسن تأديته وتقويمه"(الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم الشِّيرازي 1 / 155).

المسألة الثانية: أدلة مشروعيته

1- قال الله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ [4 المزمل] ، قال ابن كثير : أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره(تفسير ابن كثير : 1453)

2- وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة رضي الله عنها : " كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها"(صحيح مسلم 507/4)

3- وعن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدا يمد بسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم "(فتح الباري 709/8)

4- وعن حذيفة رضي الله عنه قال : " صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ، ثم النساء فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ" (صحيح مسلم ج1/ص536 (772) ، سنن النسائي (المجتبى) ج3/ص225 (1664))

5- وقال الحسن البصري : يا ابن آدم كيف يرق قلبك وإنما همتك آخر السورة(مختصر قيام الليل المروزي : 150)

6- وقد أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على نُهيك بن سنان سرعته في القراءة حين قال : قرأت المفصل البارحة فقال عبد لله رضي الله عنه : "هذّاً كهذِّ الشعر ! إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القُرَناء التي يقرأ بهن النبي صلى الله عليه وسلم"(صحيح البخاري ج1/ص269(742) ، ج4/ص1924(4756) ، صحيح مسلم ج1/ص564 (822))

7- وقال ابن مسعود رضي الله عنه لعلقمة -وقد عَجِل في القراءة -: " فداك أبي وأمي رتل فإنه زَيْنُ القرآن " (سنن البيهقي الكبرى ج2/ص54 (2259) ، سنن سعيد بن منصور (2) ج1/ص225(54) ،مصنف ابن أبي شيبة ج2/ص255(8724) ، ج6/ص140(30152))

وصفة قراءة القرآن التي نقلت إلينا عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم تدل على أهمية الترسل. فمن ينظر إلى أي كتاب في التجويد يدرك هذه الحقيقة بجلاء ووضوح. وإنه لفرق كبير في التمهل والتأني بين من يطبق أحكام التجويد ومن لا يطبقها بل يهذ القراءة هذّاً .

المسألة الثالثة: مقياس الترتيل

1- سئل زيد بن ثابت رضي الله عنه : كيف ترى في قراءة القرآن في سبع ؟ قال : حسن ، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشرين أحب إلي ، وسلني لم ذلك ؟ قال: فإني أسألك ، قال : لكي أتدبره وأقف عليه" (الموطأ 1-201)

2- قال ابن حجر : "إن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة ثمينة ، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة ، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات وقد يكون العكس" (فتح الباري 3-89 وذكر نحوه السيوطي في الإتقان)

والصحيح: أن من أسرع فقد اقتصر على مقصد واحد من مقاصد قراءة القرآن وهو : ثواب القراءة ، ومن رتل وتأمل فقد حقق المقاصد كلها وكمل انتفاعه بالقرآن ، واتبع هدي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم.

3- قال ابن مفلح : "أقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الإبانة وأكمله أن يرتل القراءة ويتوقف فيها "(الآداب الشرعية 297/2)

مما سبق يمكننا وضع مقياس وضابط لمفتاح الترتيل وهو:

إمكان التفكر والتأمل حين القراءة، وهذا يتطلب الأناة والتمهل بل أحيانا التوقف.

المفتاح السابع: تكرار الآيات والوقوف لتدبرها

المسألة الأولى: بيان المراد بهما

أي التوقف حين القراءة أو تكرار الآية لاستحضار المعاني والتعمق في فهمه.

وكلما طال التوقف وكثر التكرار كلما زادت المعاني التي تفهم من النص بشرط عدم شرود الذهن.

المسألة الثانية: بيان أهميتهما

1- قال ابن مسعود رضي الله عنه : "لا تهذوه هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السورة "(تفسير البغوي 4-407 ، شعب الإيمان للبيهقي 1-344 ، أخلاق حملة القرآن 19)

2- قال ابن القيم : هذه عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصبح " (مفتاح دار السعادة 1-222)

3- قال النووي : " وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة أو معظمها يتدبرها عند القراءة " (الأذكار 50)

4- وقال ابن قدامة : " وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه فإن التدبر هو المقصود من القراءة وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددها"(مختصر منهاج القاصدين: 6 .

المسألة الثالثة: من صور تدبر السلف وتكرارهم للآيات والوقوف عندها

1- عن حذيفة رضي الله عنه قال : " صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة(قوله : " يصلي بها في ركعة " أراد بالركعة الصلاة كاملة والمعنى : يصلي بها في تسليمة) فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ"(صحيح مسلم ج1/ص536 (772) ، سنن النسائي (المجتبى) ج3/ص225 (1664))

2- قال أبو ذر رضي الله عنه : "قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية حتى أصبح يرددها ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [(11 سورة المائدة]"(سنن ابن ماجه ج1/ص429(1389) ، قال في مصباح الزجاجة إسناده صحيح ، سنن النسائي (المجتبى) 1-177 ، مستدرك الحاكم 1-241 وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في سنن النسائي)

3- وعن عباد بن حمزة قال: " دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ: ﴿ فَمَنَّ اللهُ علينا ووقانا عذاب السموم ﴾[(27) سورة الطور] قال: فوقفت عليها فجعلت تستعيذ وتدعو ، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو" (مصنف ابن أبي شيبة ج2/ص 25 (6037))

4- وعن القاسم بن أبي أيوب أن سعيد بن جبير ردَّدَ هذه الآية :﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾ [(281) سورة البقرة] بضعا وعشرين مرة(مصنف ابن أبي شيبة ج7/ص203)

5- وقال محمد بن كعب القرظي : لأن أقرأ (إذا زلزلت الأرض زلزالها) و (القارعة) أرددهما وأتفكر فيهما أحب من أن أبيت أَهُذُّ القرآن"(الزهد لابن المبارك 97)

6- وردَّدَ الحسن البصري ليلة ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [(1 سورة النحل] حتى أصبح ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن فيها معتبرا ما نرفع طرفا ولا نرده إلا وقع على نعمة , وما لا نعلمه من نعم الله أكثر "(مختصر قيام الليل للمروزي 151)

7- وقام تميم الداري رضي الله عنه بآية حتى أصبح ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ [(21) سورة الجاثية] (مختصر منهاج القاصدين : 68)

المفتاح الثامن: تحزيب القرآن

المسألة الأولى: أهمية تحزيب القرآن

القرآن أنزل ليعمل به ، ووسيلة العمل به العلم به ، وهو يحصل بقراءته وتدبره

وكلما تقاربت أوقات القراءة ، وكلما كثر التكرار كان أقوى في رسوخ معاني القرآن الكريم.

من أجل ذلك كان السلف يواظبون على قراءة القرآن ، ويحرصون على كثرة تلاوته وتكرارها

ومن ظن أنهم يقرؤونه من أجل ثواب القراءة فحسب فقد قصر فهمه في هذا الباب.

وقد وردت نصوص كثيرة عن السلف في هذه القضية المهمة تؤكد على ضرورة تحزيب القرآن والمحافظة على ما يتم تحزيبه ، وأن يكون له الأولوية الأولى في كل وقت .

ينبغي أن يجد الله منك حرصا تاما عليه، وألا يهدأ لك بال حتى تقوم به ، حتى تؤديه في وقته ، أو تقضيه إن فات أداؤه في وقته

إن العمل الذي لا تقضيه إذا فات يعني تساوي الفعل والترك عندك ، وهذا دليل على عدم أهميته لديك.

ثم اعلم أن أول خطوة وأول مرحلة في طلب العلم هو الاهتمام بالقرآن قراءة وحفظا وعملا، وأي استعجال في هذا الأمر هو إتيان للبيوت من ظهورها واستعجال في حصد النتائج قبل نضجها ، وقد يؤدي إلى نقائص كثيرة وتأخر في الوصول إلى الهدف.

وللأسف يوجد عدد من طلاب العلم من هذا النوع تجده يصرف الأوقات الطويلة لتعلم فروع العلم بينما القيام بالقرآن وتدبره لا يصرف له إلا القليل، وهذا مخالف لما كان عليه السلف، وأخبارهم في هذا مشهورة.

ولقد عجب الإمام أحمد من طالب حديث لا يكون له ورد في الليل؟

عن أبي عصمة عاصم بن عصا البيهقي قال (بتُّ ليلة عند الإمام أحمد فجاء بالماء فلما أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان , فقال : سبحان الله رجل يطلب العلم لا يكون له وِرد بالليل)(المدخل للبيهقي ص330 , الجامع للخطيب 143/1 سير أعلام النبلاء 29/11 .

المسألة الثانية: من أدلة مشروعية تحزيب القرآن

1- حديث عبد الله بن عمرو، وهو حديث طويل مشهور، ولفظه: "كنت أصوم الدهر، وأقرأ القرآن كل ليلة", قال: فإما ذكرت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإما أرسل لي، فأتيته فقال: (ألم أُخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟) فقلت: بلى يا نبي الله؛ و لم أرد إلا الخير، قال: (فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة

أيام)، ثم قال: (واقرأ القرآن في كل شهر)، قال: قلت: يا نبي الله: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: (فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك؛ فإن لزوجك عليك حقاً, ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً)، قال: شددت؛ فشدد علي، قال: وقال لي النبي-صلى الله عليه وسلم-: (لعلك يطول بك العمر)، فصرتُ إلى الذي قال لي النبي-صلى الله عليه وسلم- فلما كبرت وددت أني قبلت رخصة النبي-صلى الله عليه وسلم. (رواه البخاري (4664) (ج 15 / ص 477) ومسلم (1963) (ج 6 / ص 41))

2- ما ثبت عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل). (رواه مسلم (1236) (ج 4 / ص 107))

3- ما رواه أبو داود عن ابن الهاد قال: سألني نافع بن جبير بن مطعم فقال لي: في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أحزِّبه، قال لي نافع: لا تقل ما أحزِّبه؛ فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: (قرأت جزءاً من القرآن)[صححه الألباني في صحيح أبي داود (1421)]

4- وقال عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه : "ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها منذ قرأت القرآن "(فضائل القرآن لأبي عبيد 95)

5- وعن خيثمة قال : " انتهيت إليه - يعني : عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو يقرأ في المصحف فقال : هذا حزبي الذي أريد أن أقوم به الليلة"(مصنف ابن أبي شيبة ج2/ص240(8559))

6- كان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم به ليله"ـــ(حلية الأولياء: 178/1)

7- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان أبي يقرأ في كل يوم سبعا ، يختم في كل سبعة أيام ، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهارة ، وكان ساعة يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو"ا(حلية الأولياء: 181/9)

المسألة الثالثة: فضيلة التحزيب الأسبوعي

وقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه :" لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث اقرؤوه في سبع ويحافظ الرجل على حزبه" (انظر : مجمع الزوائد ج2/ص269رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح)

وقال النووي – عن الختم في سبع –: "فعل الأكثرين من السلف"(التبيان – (ج 1 / ص 59))

وكان الإمام أحمد يختمه كل سبع .

وقال السيوطي : " وهذا أوسط الأمور ، و أحسنها ، وهو فعل الأكثر من الصحابة وغيرهم "(الإتقان – (ج 1 / ص 124)) .

فالتحزيب كل أسبوع من أجل تقارب وقت القراءة ليتحقق قوة حفظ اللفظ وحفظ المعنى،ونتيجة لذلك يتحقق حفظ العمل والتطبيق بإذن الله.

فمن المعلوم أنه كلما تقاربت أوقات القراءة كلما قوي الحفظ، وقد وجد بالتجربة أن ما يكرر كل سبعة أيام فإنه يرسخ ويثبت وكلما زادت الأيام كلما ضعف الحفظ.

فإن حفظ المعاني يختلف عن حفظ الألفاظ، فحفظ الألفاظ قد يكفيه شهر أو أسبوعين لكن حفظ المعاني لا بد له من التقارب الشديد ليحصل الضبط والتماسك والعمق.

ولهذا –والله أعلم– كان كثير من السلف يختمون القرآن كل سبعة أيام أو كل ثلاثة أيام؛ لأنهم يعلمون أن أكثر من هذه المدة يؤدي إلى نسيان معاني القرآن، ومن ثم نقص قوة الإيمان واليقين ، وذهاب الأنس بالله تعالى ، يحسون بالوحشة والغربة إن زادت مدة الختم عن هذه الأيام المعدودات.

ولكن لا بأس من أن يكون التحزيب كل عشرة أيام ،أو خمسة عشر ،أو عشرين، لكن عليك التنبه لهذه القاعدة التي اهتدى إليها السلف من قبلنا وطبقوها في تعاملهم مع القرآن الكريم فانتفعوا بها غاية الانتفاع.

ومسألة أخرى ينبغي أن تراعى هنا أيضا، أنّ ((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل)) (متفق عليه). قال في شرح صحيح مسلم : (والمختار أنه يستكثر منه ما يُمكنه الدوام عليه ولايعتاد إلاّ ما يغلب على ظنه الدوام عليه في حال نشاطه وغيره ، هذا إذا لم تكن له وظائف عامة أو خاصة يتعطل بإكثار القرآن عنها ، فإن كانت له وظيفة عامة كولاية وتعليم ونحو ذلك فليوظف لنفسه قراءة يُمكنه المحافظة عليها مع نشاطه وغيره من غير إخلال بشيء

من كمال تلك الوظيفة ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف ، والله أعلم) (شرح صحيح مسلم للنووي 293/8)

المسألة الرابعة: أن يكون التحزيب بالسور

الأولى أن يكون تحزيب القرآن وتقسيمه على السور- قدر الإمكان - بمعنى أن تقرأ السورة في الليلة الواحدة كاملة ، وأن يكون التقسيم والتوزيع متوافقا مع نهايات السور ، وهذا هو السنة ، وعليه عمل الصحابة والتابعين ، أما الأحزاب والأجزاء والأثمان المعروفة اليوم فلم تأت إلا متأخرة ، علاوة على ما فيها من بتر للمعاني وتقطيع للسور ، ومن أراد تفصيل القول في هذه المسألة فليراجع ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الجزء الثالث عشر.

المسألة الخامسة: كيفية تطبيق هذا المفتاح

القيام بالقرآن كاملا في كل أسبوع حفظا وفي ليل وجهر وترتيل وتوقف ؛ يحتاج الوصول إليه إلى التدرج ، والتدريب شيئا فشيئا، ومن ذلك تطبيق قاعدة: (أدومه وإن قل).

فمن الممكن أن تكون البداية بالمفصل(المفصل من سورة (ق) إلى سورة الناس. وسمي بذلك لكثرة الفصل بين سوره) يحزبه سبعة أحزاب لكل يوم من أيام الأسبوع حزب.

أو من الممكن أن تكون البداية بجزء (عم) يقسمه سبعة أقسام وكل ليلة يقرأ بقسم.

يكرر هذا كل أسبوع ، ثم ينظر النتيجة كيف تكون ؟

وعندما يرى الأثر والفائدة فإن هذا سيدفعه إلى الزيادة ، ولتكن بالتدريج ، فيزيد المقدار وبنفس الطريقة يتم توزيع المقدار الجديد إلى سبعة أقسام كل قسم منها يقرأ في ليلة ، بحيث يختم المقدار كل أسبوع حتى يرسخ ، حتى تثبت الآيات في القلب بصورة قوية يسهل استدعاؤها في مواقف الحياة اليومية .

المسألة السادسة: طريقة تحزيب القرآن

اعلم أولا أنك إن أردت النجاح حقا والفوز بأنوار القرآن وهداياته يجب عليك أن تصدق مع نفسك وأن أن تسألها يوميا هذا السؤال: كم من الوقت تعطي للقرآن كل يوم؟ وتقارن ما تخصصه من الوقت للقرآن بأمور حياتك الأخرى، وتنظر هل هي قسمة عادلة، وهل أعطيت القرآن ما يستحقه من الوقت؟ إن التفكير اليومي في هذه المسألة يكشف لك عن حقائق مهمة ويبين لك صدقك مع ربك في طلب هذه الفضيلة العظيمة.

فإذن الخطوة الأولى: أن تحدد مقدار الوقت اليومي الذي تمنحه للقرآن، هل ساعة؟ أو ساعتين؟ أو أقل أو أكثر؟

ثانيا: معرفة ما يمكن قراءته في هذا الوقت فيتحدد مقدار الحزب، مع مراعاة الترتيل والجهر والتدبر.

ثالثا: بناء على ما سبق يتحدد المدة التي تختم بها كل القرآن أو ما تحفظه من القرآن هل أسبوع؟ أو شهر؟ أو أقل أو أكثر؟

وأخيرا..

أختم هذا البحث المبارك -بإذن الله وفضله- بكلام الإمام أبي بكر الآجري -رحمه الله- في كتابه (أخلاق حملة القرآن)، فهو كلام جليل القدر عظيم النفع لمن كان له قلب.. نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما نقلنا وأن يجعله ذخرا لنا يوم نلقاه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

*****

قال -رحمه الله-: إِنّ اللهَ عَزّ وَجَلّ حَثّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبّرُوا الْقُرْآنَ ، فَقَالَ عَزّ وَجَلّ « أَفَلا يَتَدَبّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا »(مُحَمّد 24/47) .

وقَالَ عَزّ وَجَلّ " أَفَلاَ يَتَدَبّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً »(النّسَاءُ 82/5) .

أَلا تَرَوْنَ رَحِمَكُمْ اللهُ إِلَى مَوْلاكُمْ الْكَرِيْمِ ؛ كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبّرُوا كَلامَهُ ، وَمَنْ تَدَبّرَ كَلامَهُ عَرَفَ الرّبّ عَزّ وَجَلّ ، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفَضّلِهِ عَلَى الْمُؤمِنِينَ ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ ، فَحَذِرَ مِمّا حَذّرَهُ مَوْلاهُ الْكَرِيْمُ ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغّبَهُ فِيهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ ، وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ ، كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً ، فَاسْتَغْنَى بِلا مَالٍ ، وَعَزّ بِلا عَشِيرَةٍ ، وَأَنِسَ

بِمَا يَسْتَوحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ تِلاوَةِ السُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا : مَتَّى أَتَّعِظُ بِمَا أَتْلُوهُ ؟ ، وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ مَتَّى أَخْتِمُ السُّورَةَ ؟ ، وَإِنَّمَا مُرَادُهُ : مَتَّى أَعْقِلُ عَنْ اللهِ الْخِطَابَ ؟ ، مَتَّى أَزْدَجِرُ ؟ ، مَتَّى أَعْتَبِرُ ؟ ، لأَنَّ تِلاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ عِبَادَةٌ ، وَالْعِبَادَةُ لا تَكُونُ بِغَفْلَةٍ ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ .

وقال -رحمه الله-: فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ ، يُعَمِّرَ بِهِ مَا خَرَبَ مِنْ قَلْبِهِ .. إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ ، هِمَّتُهُ إِيقَاعُ الْفَهْمِ لِمَا أَلْزَمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ ، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى ، لَيْسَ هِمَّتُهُ مَتَّى أَخْتِمُ السُّورَةَ ، هِمَّتُهُ مَتَّى اسْتَغْنِي بِاللهِ عَنْ غَيْرِهِ ، مَتَّى أَكُونُ مِنْ الْمُتَقِينَ ، مَتَّى أَكُونُ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ، مَتَّى أَكُونُ مِنْ الْمُتَوَكِّلِينَ ، مَتَّى أَكُونُ مِنْ الْخَاشِعِينَ ، مَتَّى أَكُونُ مِنْ الصَّابِرِينَ ، مَتَّى أَكُونُ مِنْ الصَّادِقِينَ ، مَتَّى أَكُونُ مِنْ الْخَائِفِينَ ، مَتَّى أَكُونُ مِنْ الرَّاجِينَ ؟ .

مَتَّى أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، مَتَّى أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ ، مَتَّى أَتُوبُ مِنْ الذُّنُوبِ ، مَتَّى أَعْرِفُ النِّعَمَ الْمُتَوَاتِرَةِ ، مَتَّى أَشْكُرُ عَلَيْهَا ، مَتَّى أَعْقِلُ عَنْ اللهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ الْخِطَابَ ، مَتَّى أَفْقَهُ مَا أَتْلُو ، مَتَّى أَغْلِبُ نَفْسِي عَلَى هَوَاهَا ، مَتَّى أُجَاهِدُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْجِهَادِ ، مَتَّى أَحْفَظُ لِسَانِي ، مَتَّى أَغُضُّ طَرْفِي ، مَتَّى أَحْفَظُ فَرْجِي ، مَتَّى اسْتَحِي مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ ، مَتَّى اشْتَغِلُ بِعَيْبِي ، مَتَّى أُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِي ، مَتَّى أُحَاسِبُ نَفْسِي؟ .

مَتَّى أَتَزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِي ، مَتَّى أَكُونُ عَنْ اللهِ رَاضِيًا ، مَتَّى أَكُونُ بِاللهِ وَاثِقًا ، مَتَّى أَكُونُ بِزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَّعِظًا ، مَتَّى أَكُونُ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ مُشْتَغِلاً ، مَتَّى أُحِبُّ مَا أَحَبَّ ، مَتَّى أَبْغَضُ مَا أَبْغَضَ ، مَتَّى أَنْصَحُ للهِ ، مَتَّى أُخْلِصُ لَهُ عَمَلِي ؟.

مَتَّى أُقَصِّرُ أَمَلِي ، مَتَّى أَتَأَهَّبُ لِيَوْمِ مَوْتِي ، وَقَدْ غُيِّبَ عَنِي أَجَلِي ، مَتَّى أُعَمِّرُ قَبْرِي ، مَتَّى أُفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ ، مَتَّى أُفَكِّرُ فِي خُلْوَتِي مَعَ رَبِّي ، مَتَّى أُفَكِّرُ فِي الْمُنْقَلَبِ؟ .